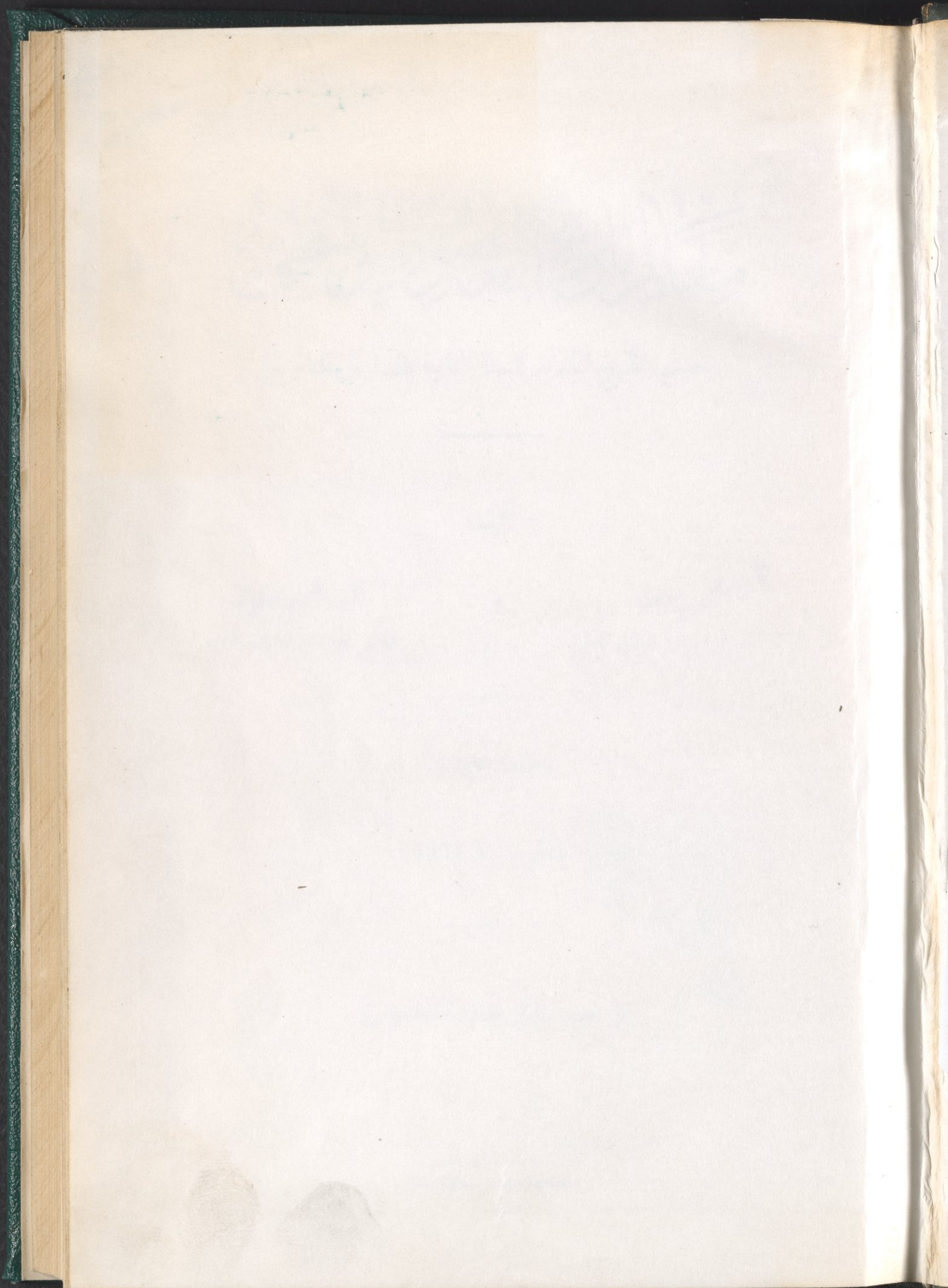


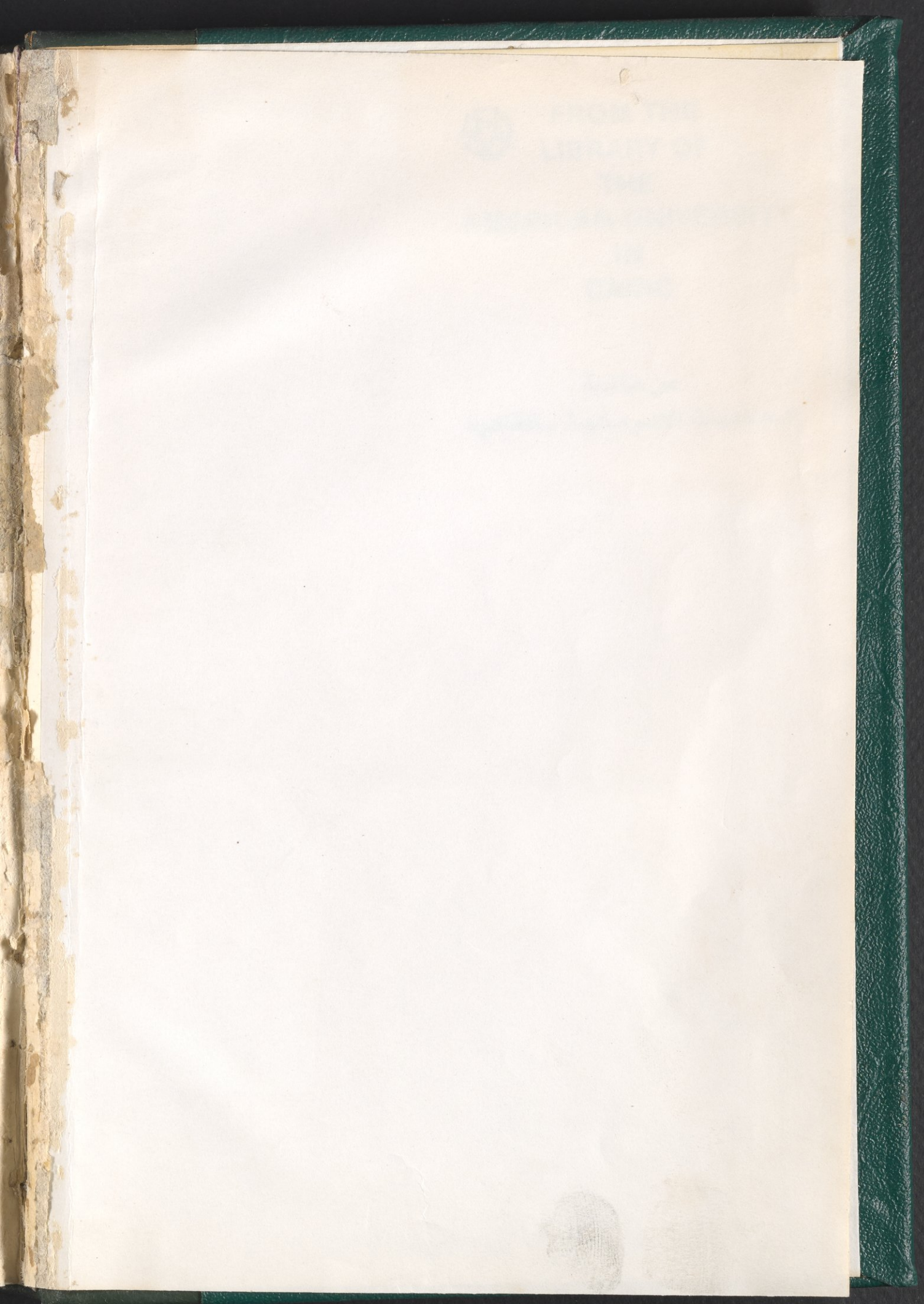




FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة





مكتبة
٥-٤

Mā'alim tarikh al-'Usūr al-wustā.

D
116
R54.
1925

معالم التاريخ العصور الوسطى

حسب المنهج الجديد للسنة الثانية بالمدارس الثانوية

تأليف

محمد احمد مسون

المفتش بوزارة المعارف العمومية

محمد رفعت

أستاذ التاريخ بمدرسة المعلمين العليا

(الطبعة الاولى)

نوفمبر سنة ١٩٢٥

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

940.1

R44

92, 1
P. P)

16068

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

أول ما كتبنا في موضوع هذا الكتاب كان غرضنا مساعدة طلبة
مدرسة المعلمين العليا، فلما عدل منهج التاريخ بالمدارس الثانوية وتقررت
دراسة العصور الوسطى في السنة الثانية، أصبحت الحاجة ماسة الى وضع
كتاب يناسب مستوى طلبة هذه المدارس، ويلم بكليات المنهج وجزئياته
لذلك عولنا على اصدار هذا الكتاب رجاء أن يسد فراغاً في تاريخ
العصور الوسطى لا توجد فيه كتب باللغة العربية فيما نعلم. وغاية ما نرجوه
أن يجد فيه الطالب خاصة، والمتعلم عامة، مرشداً ومعيناً. ومن أراد
التوسع في الموضوع ولا سيما فيما له علاقة بتاريخ أوربا، فليرجع الى
الطبعة الخاصة بطلبة مدرسة المعلمين العليا

محمد رفعت : محمد احمد مسونه

أول نوفمبر سنة ١٩٢٥

تنبيه مهم

ينبغي اصلاح هذه الأغلط المطبعية قبل الشروع في مطالعة الكتاب

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٢٣	٤	Autrasias	Austrasia
٢٣	١٠	٧٨٦	٦٨٧
٢٤	٦	اللعب	اللقب
٦٦	١٤	٨٦-٨٦ هـ	٨٦-٩٦ هـ
٨٨	٥	في أكبر	في أنه أكبر
٩١	٦	٤١٨	٨١٤
١٠١	١٦	ومحاولة	محاولة
١٢٩	٥	قصر	قبر
١٣١	٩	برندبرج	برندنبرج
١٤٧	١٩	Reudolf	Rudolf
١٦٣	٥	الناصر	العاقد
٢٠٠	١٩	٣٧٣٢	٧٣٢
٢٣٧	١٤	البكجيرية	اليكجيرية
٢٤١	١٣	تقضى	تقضى

الفهرس

صفحة	صفحة
٦٩ الدولة العباسية	٩ الفصل الاول
٧٧ الفصل الثالث	سقوط الدولة الرومانية الغربية
الحضارة الاسلامية	والشعوب المتبربرة
٨٨ الفصل الرابع	١٠ السكت
قيام دولة الفرنجة	١٤ الجرمان
٩٤ الفصل الخامس	١٣ الصقلب
النظام الاقطاعي وظهور قوة	١٤ بدء غارات القبائل المتبربرة
الكنيسة	١٦ قبائل البرغنديين
١٠٣ ظهور قوة الكنيسة والبابوية	١٦ « الوندال
١٠٧ الرهينة والاديرة	١٧ « قبائل الهون
١١٢ الفصل السادس	١٩ القوط الشرقيون
ظهور الممالك الحديثة في أوروبا	٢٠ قبائل الانجليز والسكسون والجوت
فرنسا	٢١ قبائل المبارد في ايطاليا
١٢٠ انجلترا	٢٢ الفرنجة
١٣٠ المانيا وايطاليا بعد سقوط دولة	٢٥ الدولة الرومانية الشرقية
شرلمان	٣٠ الفصل الثاني
١٣٥ الكفاح بين البابوية والامبراطورية	تاريخ العرب
١٤٩ الفصل السابع	٤٢ الخلافة
الحروب الصليبية	٤٥ فتوح العرب
	٦١ الدولة الاموية

صفحة	صفحة
٢٦٠ الفصل الحادى عشر	١٨٢ الفصل الثامن
مصر منذ الفتح العربى	ضعف البابوية فى أوربا
٢٢٠ الدولة الفاطمية	١٩٠ الفصل التاسع
٢٣٥ الفصل الثانى عشر	فرنسا وانجلترا فى العصر الوسيط
نشأة الاتراك العثمانيين	١٩٩ الفصل العاشر
٢٤٨ الفصل الثالث عشر	الدولة العربية فى الاندلس
حضارة العصور الوسطى فى أوربا	

الخرائط

صفحة	صفحة
٢٧٢ الدولة الاسلامية بالشرق	٢٦٨ أوربا سنة ٣٥٠
٢٧٣ بلاد الاندلس	٢٦٩ هجوم القبائل المتبربرة
٢٧٤ الحروب الصليبية	٢٧٠ دولة شرلمان
٢٧٥ حرب مائة السنة	٢٧١ الامبراطورية فى عهد أتو الاكبر

فهرس الصور

صفحة	صفحة
١٧٢ نسر صلاح الدين على أحد جدران القلعة	١١ رئيس كلتي
١٩٥ شارل السابع	٣٣ مكة المكرمة
١٩٦ جان دارك	٣٦ المدينة المنورة
٢٠٩ بهو السباع في غرناطة	٤٧ مسجد باصفهان
٢٢٥ مشكاة من الزجاج المحلى باليمين	٥٠ داخل مسجد عمر بالقدس
٢٣٤ صورة حجرة بمنزل في رشيد	٩٣ سفينة نورمندية
٢٣٤ جامع ابن طولون	٩٦ فارس اقطاعى فى القرن التاسع
٢٣٨ جندى انكشارى	٩٧ حصن اقطاعى
٢٤٦ أسوار القسطنطينية	٩٩ المبارزة فى العصر الوسيط
٢٥٠ ملابس سيد فى القرن الخامس عشر	١٠٢ فارس فى القرن الخامس عشر
٢٥١ ملابس سيدة فى القرن التاسع	١٠٩ راهب فرنشسكان
٢٥١ ملابس سيدة فى القرن الخامس عشر	١١٦ قصر لويس التاسع على السين
٢٥٣ برج كتدرائية لنكان بالجلترا	١١٩ قصر امبواز من عهد شارل الثامن
٢٥٤ بلدية بروج فى بلجيكا	١٢٩ قبر ادوارد الثالث فى ومتمستر
٢٦١ كنيسة ريم فى فرنسا	١٥٧ قتال بين الصليبيين والمصريين فى سوريا
	١٦٨ قلعة الكرك

موضوعات المنهج الجديد

للسنة الثانية الثانوية

دراسة تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب دراسة عامة مع العناية

بتاريخ العرب

- ١ ✕ حالة اوربا والشرق قبل ظهور الاسلام
- ب ✕ ظهور سيدنا محمد والفتوح العربية والخلافة ومدينة العرب
- ج ✕ ظهور البابوية والرهينة في اوربا وشرلمان والنظام الاقطاعي
- د ✕ الحروب الصليبية وعلاقتها بمصر
- هـ ✕ السكفاح بين البابوية والامبراطورية
- و ✕ نشأة الممالك الاوربية وتطور نظم الحكم فيها
- » ✕ فرنسا الى ابتداء حكم لويس الحادى عشر
- ز ✕ انجلترا الى نهاية حرب الوردتين
- ح ✕ اسبانيا من الفتح العربى الى ظهور فردينند وايزابلا
- ط ✕ مصر منذ الفتح العربى الى نهاية حكم الفاطميين
- ي ✕ الاتراك العثمانيون من نشأتهم الى فتح القسطنطينية

الفصل الأول

سقوط الدولة الرومانية الغربية

والشعوب المتبربرة

في القرن الثالث الميلادي كانت الامبراطورية الرومانية تمتد من المحيط الاطلسي غرباً الى نهر الفرات شرقاً ومن الصحراء الكبرى جنوباً الى الطونة والرين شمالاً. وكان يسكن الامبراطورية اقوام مختلفون جنساً ولغة وعادة وديناً، فكانت رومة تغرس فيهم حضارتها بمجرد استعدادهم لقبولها. فمتى تم فتح اقليم بدأ صبغه بالصبغة الرومانية واذا اخلد أهله الى السكينة منحوا حقوقاً مدنية تشابه حقوق أهل رومة نفسها. وقد تمت المساواة في الامبراطورية سنة ٢١٥ م حين أصدر الامبراطور «كركلا» مرسوماً باعطاء جميع الاحرار من سكان الامبراطورية الحقوق التي كانت قاصرة على أهل رومة وباعتبارهم مواطني هذه المدينة، لانه رغم الفروق التي كانت تفصل كل ولاية عن الاخرى شاعت بين الجميع مبادئ التهذيب الروماني وانتشرت عوامل الحضارة الرومانية، فجعلت الجهات المختلفة تسمو شيئاً فشيئاً الى المستوى الراقى الذي كانت رومة نفسها قد بلغت من قبل

وبسبب ترامي أطراف الدولة وصعوبة الدفاع عن حدودها، لم يتسع المجال أمام الاباطرة لغزو القبائل المتبربرة التي كانت تتأخم حدود

الدولة في أوربا، فاقترضوا على بناء الاستحكامات والقلاع وتحصين الحدود وأنشأوا الطرق لتسهيل تسيير الجيوش وتعبئتها. ولما انصرفت رغبة الرومان عن الانخراط في سلك الجيوش لجأ القواد والأباطرة الى تجنيد المتبربرين في رتب الجيش المختلفة. فلما صار منهم رؤساء استكثروا من بني جلدتهم حتى تفوق العنصر المتبربر في الجيش والادارة، وسيطر المتبربرون على الامبراطور والحكومة، وعرفوا مواطن الضعف في الدولة ومهدوا السبيل للهجوم العام في القرن الخامس وأهم هذه الشعوب المتبربرة التي كانت تسكن وراء حدود الدولة وتغير عليها من حين لآخر قبائل الكلكت والجرمان والصقلب

الكلكت

في القرن الرابع بعد الميلاد كان الكلكت يقطنون «غالة» وهي فرنسا الحالية، والجزر البريطانية، وكانوا يعيشون قبائل، كل قبيلة تكون دولة يحكمها أشرفاء، ولم يكن للسواد الاعظم نصيب في الحكومة، بل كانت السلطة في يد جماعة من الاشرف ويسمون «درويد Druids» كانوا رؤساء الدين وقضاة ومرجعاً أعلى في جميع الامور الاخرى، كلمتهم قانون، ومن جرؤ على مخالفتهم جردوا عليه سيف الحرمان الذي يشبه الحرمان البابوي في العصور الوسطى

وكان الكلكت كبار الاجسام أقوياء شجعاناً مخاطرين في الحروب مولعين بالموسيقى ولا سيما الحرية التي كانوا يتقدمون للقتال على نفقاتهم الحماسية. مولعين بالشعر تؤثر فيهم بلاغة الخطباء. وكانت لغتهم كاملة

التكوين يمكن بها التعبير عن أنواع شتى من الافكار والعواطف ، كذلك كانوا شديدي الحماسة لزعمائهم الا أنهم كانوا سريعي التقلب والتحول متى أخذت الولايات حماسهم



رئيس كلتي

وبعد أن فتح « يوليوس قيصر » غالة، سرت فيها ميادى الحضارة

الرومانية فاصطبغ الكلت هنالك بالصبغة الرومانية تماماً، ونسى أكثرهم لغتهم الأصلية وجعلوا يتكلمون اللاتينية، فأنشأوا مدناً كثيرة ذات معابد وحمامات ومسارح للتمثيل لا تفترق كثيراً عن المدن الرومانية. أما باقى الكلت الذين كانوا يسكنون بريطانيا وإيرلنده فبقوا على سذاجتهم وعدائهم لرومة

الجرمان

كان الجرمان يسكنون الاراضى الواقعة بين نهري الرين والقسثولا وبين بحر البلطيق ونهر الطونة، يتاخمون الدولة الرومانية على امتداد نهري الطونة والرين. ويمكن تقسيمهم بوجه عام الى ثلاثة أقسام: — الجرمان الغربيين ومنهم الفرنجة والامان والسكسون، والجرمان الشماليين ومنهم الدنمركيون وأهل اسكندناوة، والجرمان الشرقيين ومنهم القوط والوندال

كان الجرمان يعيشون قبائل مستقلة، وكان نظام حكومتهم ديمقراطياً فكان أحرار كل قرية يشتركون في تدبير أمورهم المحلية، أما الشئون العامة التي تهتم القبيلة كلها فيشترك في تدبيرها جميع أحرار القبيلة. وأما من الوجهة الاجتماعية فكانوا ثلاث طبقات: — الاشراف والعامة الاحرار والرقيق، وكان الاشراف يتمتعون بميزات خاصة في المجتمع ولكن صوت الرجل الحر كان مساوياً لصوت الشريف في الجمعية العامة وكان من عادة الجرمان أن يلتف فريق من الشبان حول فارس مشهور بالشجاعة والخبرة بالحروب يعيشون معه ويصبحونه في غزواته،

وكان الفارس يفخر بكثرة مَنْ حوله من الشبان لانهم يُشيدون بذكوره
ويساعدونه على نيل ما ربه

وكانوا يعبدون الطبيعة ، ويجلّون الغابات وما يشبهها من الظواهر
الغريبة ، ولم تنشأ بينهم طائفة من القساوسة كما نشأ بين الكلت والصقالبة
أما معيشتهم فكان قوامها الرعى والزراعة والصيد . وكان أكثر
العاملين في الزراعة والرعى من الرقيق والنساء . وكانوا لا يعملون الى
انشاء مدن مكتظة بالسكان ، بل يفضلون الاقامة في منازل متباعدة وسط
الريف . وكان الجرمان ضخام الاجسام أقوياء البنية حمر الوجوه يضرب
شعرهم الى الشقرة ، ولوعين بالحرب والحمر والميسر وبلغ من شغفهم
بالميسر أنهم كانوا يقامرون بأولادهم ونسائهم بل وبحريتهم

الصقلب

أما القبائل الصقلبية فكان مقامها شرقي الجرمان فيما يسمى الآن
روسيا . كان كلما تحرك الجرمان غرباً أو جنوباً تبعهم القبائل الصقلبية
واحتلت ما هجروه من البلاد حتى وصلوا الى نهر الالب غرباً

وكانت حكومتهم ديمقراطية الا أن النفوذ الاكبر كان للشيوخ
أما دينهم فكان ضرباً من الوثنية ، وكان لرجال الدين نفوذ في السياسة
والحرب . وعلى الرغم من ضخامة أجسامهم لم يكونوا مطبوعين على
الغزو . ولضعف إحساسهم بالقومية سهل امتزاجهم بالاجناس الاخرى
وصبغ كثير منهم بالصبغة الجرمانية من بعد القرن التاسع للميلاد

بدء غارات القبائل المتبربرة

نقصد بالبرابرة القبائل السالفة الذكر التي كانت تسكن شمال الدانوب وشرقي الرين وقد واصل الأباطرة خطة أغسطس الدفاعية إزاء هذه القبائل فاكثفوا ببناء الحصون ووضع الحاميات على الحدود، ولما كانت هذه الحدود ممتدة بدرجة لايسهل فيها إحكام الدفاع وخاصة بعد أن دب الضعف في جسم الدولة بدأ البرابرة يشنون الغارة عليها

مبدأ علاقات
المتبررين بالدولة

ولقد كانت العلاقات في أول الامر بين الدولة والبرابرة قاصرة على تبادل التجارة، ثم تدخل البرابرة حجاباً في الاستطلاع وطلباً للرزق ورغبة في تعلم نظام الحكم الروماني، ثم بدأوا يدخلون في خدمة الجيش وعلى العموم يمكننا أن نقول إنه قبل سنة ٣٧٤ م كان وجود البرابرة داخل الامبراطورية قاصراً على استخدامهم في الجيش وفي الادارة، وأما بعد هذا التاريخ فبدأ تدخلهم الحربي الذي أدى الى استيلائهم على ممتلكات الدولة. فكان وجودهم في الجيش والادارة قد مهد لهم طريق احتلال البلاد

سبب الغارات

بدأ الهجوم العام للقبائل المتبربرة في أواخر القرن الرابع، وأثناء القرن الخامس بعد الميلاد. والسبب في هذه الحركة ظهور قوة جديدة من جهة الشرق دفعت هذه القبائل أمامها جنوباً وغرباً. جاء هذا الضغط من ناحية قبائل «الهون» وهم من الجنس المغولي ومهدم الاصلي وسط آسيا، بدأوا يزحفون غرباً دفعوا أمامهم القبائل ~~التيوتونية~~ أو الجرمانية لما اندفع «الهون» الى اوربا وغلبوا القوط الغربيين على نهر «دنيستر»

القوط الغربيون

هرع هؤلاء الى الطونة يضرعون الى الامبراطور « فالنز Valenz » أن يسمح لهم بدخول بلاده . فأذن لهم بالاقامة في شمال الباقان لأن أكثره كان قد خربته الحروب فأصبح غير مزروع فعبر الطونة منهم عام ٣٧٦ عدد يربو على مائة ألف وقد تحالف معهم الامبراطور الا أنهم ثاروا ونهبوا البلاد سنة ٣٧٨ وخف الامبراطور لاختضاعهم فقتل في موقعة أدربة وتبدد شمل جيشه . وقد كشفت هذه الموقعة ضعف الجيش الروماني بعد أن صار أكثر رجاله وقواده من المتبررين فطمع القوط وغيرهم في أملاك الدولة وجعلوا ينزحون اليها بأولادهم ونساءهم

موقعة أدربة
٣٧٨ م.

وخلفه الامبراطور « تيودوسيوس » فانتصر على القوط وعاهدهم سنة ٣٨٣ على أن يمنحهم أرضاً في تراقيا وآسيا الصغرى واشترط عليهم أن يقدموا لجيشه كل سنة ٤٠ ألف جندي يقودهم ضباط من القوط تحت اشراف الامبراطورية . ولم يظهر خطر ذلك أثناء حكم « تيودوسيوس » لشدة بأسه ، ولكن لما خلفه ابنه الضعيفان « اركاديوس » في الشرق و« هونوريوس » في الغرب وعاصمته « راقنا » التي اختارها لمناخها وكثرة المستنقعات حولها ارتقى العرش القوطي « الرك Alarie » وهو أشهر اسم في التاريخ القوطي . كان متحمساً للحرب طموحاً للفخار شريفاً في معاملاته ومسيحياً مخلصاً نشب بينه وبين الدولة الشرقية خلاف فحاول أخذ العاصمة فحالت مناعتها دون أمنيته فغزا إيطاليا سنة ٤٠١ فقابلته جيوشها عند « قرونا » تحت إمرة قائد من الوندال اسمه « ستليكوه » وطردته من إيطاليا بعد هزيمة منكرة . وعلى الرغم من ذلك تعد سنة ٤٠١ نهاية الدولة الرومانية الغربية ، إذ من ذلك التاريخ بدأ الرومان يُجلون حامياتهم

الرك

عن الولايات الخاضعة لهم لحماية إيطاليا نفسها ولكن لم يمض سنون قليلة حتى سنحت «لارك» فرصة انتصار سهل ، وذلك ان الامبراطور حسد قائده فأغرى به من قتله سنة ٤٠٨ م فأبى الجيش أن يخدم «هونوريوس» وانضم اكثره الى «الرك» فدخل إيطاليا واستولى على رومة. فأحس الناس أن الارض قد زلزلت، لطول اعتقادهم بأن رومة مالكة العالم ، وأنها المدينة الخالدة الابدية. وتقدم «الرك» لاتمام فتح إيطاليا فمات في جنوبها سنة ٤١٠ فغادر القوط إيطاليا وزحفوا الى بلاد الغال ومنها الى أسبانيا حيث استقر بهم المقام نهائياً وأسسوا دولة امتدت من نهر «لوار» الى البوغاز المعروف بجبل طارق وبقوا بها الى أن جاء العرب سنة ٧١١ م

قبائل البرغنديين

في منتصف القرن الثالث ترك البرغنديون موطنهم بين «القسطولا» «والاودر» ونزلوا على المين والرين ومنحتهم الامبراطورية الجهة التي تحيط بمدينة «ورمز» سنة ٤١٣ ، ثم انتشروا في جنوب شرق فرنسا الى أن وصلوا الى البحر الابيض المتوسط . فبقوا مستقلين الى أن هاجمهم الفرنجة فخضعوا لهم سنة ٥٣٤ واندمجوا فيهم ولا يزال الاقليم الذي كونوا فيه مملكتهم يعرف ببرغندية الى الآن

قبائل الوندال

في شتاء ٤٠٦—٤٠٧ عبر عدد عظيم من «الوندال» و«السويشي» — وكلاهما قريب من القوط — نهر الرين الاوسط وتوغلوا في البلاد على

مهل تاركين الارض بلقماً أينما ساروا ، حتى دخلوا مملكة القوط الغربيين
فطردهم هؤلاء الى أسبانيا ثم عبروا الى افريقية
وكان « الوندال » جمعاً من المدمرين النهائيين والقرصان الفاتكين همجية الوندال
تحكموا في رقاب العباد فبادت حضارة افريقية بعد أن كانت من أغنى
ولايات الامبراطورية وأعلاها كعباً في الحضارة. ولما أقام « جينسرك »
في قرطاجة تطلع الى نهب جديد ، وكانت قوته البحرية عظيمة فامتلك
الجزر الواقعة في غرب البحر الابيض المتوسط ، ونهب رومة نهبا ذريعاً
سنة ٤٥٥ وأصبح الوندال أصحاب السيادة في تلك الجهة . ولكن مناخ
افريقية لم يوافقهم ، فضعفوا وانتشر الفساد بينهم فأخضعتهم الدولة
الرومانية الشرقية سنة ٥٣٤

قبائل الهون

وفي أثناء الهرج الذي أحدثه تحرك هذه القبائل واجهت أوربا
خطراً داهماً من ناحية « الهون » انفسهم إذ اتحدت قبائلهم بين الرين
والولغا سنة ٤٤٤ بزعامة قائدهم « اتلا » الذي تمكن من اعداد جيش
أكثره من الهون والجرمان وجعل يغير على الدولة الرومانية الشرقية
ثم اخترق ألمانيا وأراد الهجوم على فرنسا وكان بعضها بيد الرومان هجوم الهون
والبعض الآخر بيد قبائل الجرمان كما تقدم فاتحد الجانبان على مقاومة
« اتلا » فقبلا سنة ٤٥١ بقيادة آخر قائد روماني عظيم وهو « اتيوس Aetius »
فهزمه في « شالون » فتقهقر « اتلا » عن طريق الطونة. وفي السنة التالية
اخترق ممرات الالب الشرقية وغزا إيطاليا حتى ميلان حيث تفشت موقعة شالون

الحمى فى جيشه فاجتاز جبال الألب قافلا ومات فى السنة التالية . وتعتبر موقعة « شالون » من الوقائع الحاسمة فى التاريخ إذ تخلصت أوربا من حكم الجنس المغولى فى بلادها . وكان « اتلا » قد أوقع الرعب فى قلوب الرومان والجرمان ، فأطلقوا عليه لقب « عذاب الله » . وبموته تفرقت القبائل ، واستقلت كل العشائر الصقلبية والجرمانية التى كانت خاضعة لحكمه ، وتفرغت للاستفادة من ضعف الدولة الرومانية ، بإعادة الكرة عليها ، كما كانت تفعل قبل هجوم « الهون »

نهاية الدولة الرومانية فى الغرب : رغم كل ما وقع بقى طيف الامبراطورية فى ايطاليا وبقى فى « رافنا » شخص يسمى نفسه امبراطوراً حوله حاشية ضخمة . أما القوة فكانت بيد القواد الذين تعاقبوا على قيادة الجنود وحكموا البلاد باسمه وكلهم متبررون ، حتى إنه سنة ٤٧٦ توج أحدهم وهو « ارستيز Orestes » ابنه « رميولس أغسطس Romulus Augustulus » امبراطوراً وكان يريد أن يحكم بالنيابة عنه ، لكن الجند ثاروا بقيادة زعيم يسمى « أدوكر Odoacer » فقتلوا « ارستيز » وعزلوا ابنه وبقى « أدوكر » صاحب الامر ، ولو أراد لتوج نفسه أو غيره امبراطوراً ولكنه لم يعبأ بذلك بل أرسل الى القسطنطينية التاج وبقيةشارات الملك معلناً أن ايطاليا ليست فى حاجة الى امبراطور خاص وطلب أن يمنح لقب حاكم ايطاليا فكان ذلك بمثابة اعتراف منه بسيادة الدولة الشرقية على ايطاليا وان لم يكن لها غير الاسم بينما كان بيد « أدوكر » كل القوة

وبذلك انتهت فى سنة ٤٧٦ الامبراطورية فى الغرب الذى فيه

نشأت والذي كان عماد قوتها ، وان بقي قياصرة الشرق يلقبون أنفسهم
رومان باشكال شتى ، نحو ألف سنة أخرى

القوط الشرقيون

بانتصار « أدوكر » سنة ٤٧٦ صارت إيطاليا في قبضته رغم خضوعه
للامبراطور نظريا وكان يؤيده جيش عظيم أكثره من الجرمان فحكم
البلاد حكما قويا وأعاد الأمن إلى نصابه ونفذ القوانين فبدأت البلاد
تفيق من آثار العسف والظلم وشرع الرخاء يرجع إليها لولا أن فاجأه
عدو جديد وهم القوط الشرقيون .

أقام القوط الشرقيون مدة على نهر الطونة الاوسط واضطروا
للخضوع للهون واشتركوا في انتصارات « اتلا » وهزائمه ، ثم استقروا شرقي
البحر الادرياتي ، تحت حكم ملكهم العظيم « تيودوريك Theodoric »
الذي قضى عشرين سنة في القسطنطينية خبر اثناءها أحوال البلاد الاجتماعية
والدينية ، وعرف نقط القوة والضعف في الامبراطورية ، وفي سنة ٤٨٩
حرضه الامبراطور « زينو Zeno » الذي كان يود التخلص من
« أدوكر » بأية وسيلة - على غزو إيطاليا ، فغزاها بجميع قومه وهزم أدوكر
في ثلاث مواقع واتفق تيودوريك وأدوكر أن يحكما البلاد معاً إلا أنه
اثناء الاحتفال بالصلح قتل أدوكر وصار أمر إيطاليا بيد تيودوريك

أعمال
تيودوريك

أبدى تيودوريك نشاطاً واسع النطاق وحاول أن ينشئ مملكة
قوية على أساس متين فأقام في « راقنا » وأضاف كثيراً إلى مبانيها
وكنائسها مشركا معه في بنائه وسياسته نوابغ الرومان وقلد مراسم

وشكل حكومة الدولة الشرقية ، وكان غرضه الجمع بين قوة القوط وحضارة الرومان

وعاشت إيطاليا في هدوء غير معهود إلى أواخر حكم تيودوريك إذ أصلح الطرق وجفف المستنقعات وحافظ على الأمن وأقام ميزان العدل وشجع الزراعة فبدأت التجارة تزدثر بعد أن اضمحلت حتى اعترف البابا « أن إيطاليا قد هدا روعها بعد عواصف الحرب الدائمة » وكانت له القوة الكبرى في إيطاليا وغرب أوروبا ، تربطه صلات المصاهرة أو المحالفة مع أكثر الممالك المتبربرة التي أنشئت أخيراً من برغنديين وفرنجي وقوط غربيين ووندال وكانوا جميعاً يعترفون له بالمنزلة الأولى إلا أنه عند موته سنة ٥٢٦ تبدد ملكه لعدم وجود وارث له

قبائل الانجليز والسكسون والجوت

لما أخذت الدولة الرومانية في الضعف اضطرت إلى سحب حامياتها من الجهات النائية لتحمل وطنها الأصلي من غارة « ألرك Alaric » فترك الرومان بريطانيا بعد أن نسي أهلها صفاتهم الحربية الأولى ، وأصبحوا غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم . فأغارت عليهم قبائل « الانجليز » و « السكسون » و « الجوت » الذين جاءوا من المانيا أثناء القرنين الخامس والسادس عقب سقوط الدولة الرومانية الغربية وسهل عليهم التغلب على البريطانيين الذين احتتموا بالمستنقعات والجبال الغربية وأصبحت البلاد تعرف باسم « انجلند » أي أرض الانجليز ولذا يحسن التكلم عن هؤلاء المغيرين باسم الانجليز

كان الانجليز وثنيتين عند ما هاجموا بريطانيا فأولعوا بنهب الاديرة والكنائس ، ولكن البابا « غريغورى الاكبر » أرسل اليهم الراهب « أغسطين » سنة ٥٩٧ م. فانتشرت المسيحية بين الانجليز أنفسهم وارتبطوا من ذلك العهد باسقفية رومة . أما من الوجهة السياسية فقد أنشأوا ممالك صغيرة متنافرة وبقيت فى نزاع وشحناء حتى تغلبت « وسكس » (أى مملكة السكسون الغربيين) على جميع الانجليز سنة ٨٢٥ وأصبح « اجبرت Egbert » ملكا على انجلترا كلها

قبائل اللمبارد فى ايطاليا

(٥٦٨ — ٧٧٤)

نزل بايطاليا قوم متبربرون من الجنس الجرمانى يسمون باللمبارد وكانوا قومًا همجيين وثنيين قطنوا شمال ايطاليا فى وادى نهر « بو » ولا يزال هذا الجزء معروفاً باسمهم للآن . وقد استولوا على كل ايطاليا ما عدا أماكن معينة كانت تحميها الامبراطورية الشرقية بأسطولها مثل صقلية وقرشقة وسردانيا

وقد تحسنت العلاقات بين اللمبارد وأهل ايطاليا ، على أثر تحول اللمبارد الى مذهب كنيسة رومة ، فأصبح من المستطاع الاختلاط والتزاوج ، فتركوا بذلك اسمهم فى شمال ايطاليا ، وبقوا عنصرا فى سكان البلاد وحضارتها ، بينما لم يترك القوط الغربيون ولا الشرقيون أثراً بعدهم ،

الفرنجة

الفرنجة قوم من قبائل الجرمان يبدأ تاريخهم الحقيقي من سنة ٤٨١ م وهي ابتداء حكم ملكهم « كلوفس أو كلودج Chlodwig » حين كان موطنهم وادي الرين الأسفل، والشلد والموزالى دوفر

حالة بلاد الغال وكانت بلاد الغال متنازعة بين دول مختلفة فكان وادي السين

تحت العلم الروماني يحكمه « سيغريوس Syagrius » وكانت تلك الجهة آخر ما بقي من الدولة الرومانية شمال جبال الألب . وكان القوط الغربيون يقيمون جنوب نهر لوار ، والبرغنديون يسكنون حوض الرون وما يليه شرقا ، والالمان Alamanni ينزلون في أعلى الرين والغابة السوداء وكل هذه الجهات امتد إليها « كلوفس » قبل موته . ووقعت له أثناء قتال الالمان قصة أهم من كل انتصاراته في تاريخ الفرنجة ، وذلك أنه بتأثير زوجته — وكانت برغندية مسيحية — نذر أن يعتنق المسيحية إذا كمله إله المسيحيين بالنصر ، فلما انتصر اعتنق الدين المسيحي على مذهب الكنيسة الغربية سنة ٤٩٦ م وتبعه كثير من الفرنجة ، فبدأت العلاقات الودية بين الكنيسة وملوك الفرنجة ، وبقي هذا الاتفاق قروناً طويلة ، وسهل على الفرنجة احتلال الأقاليم المجاورة ، وتكوين مملكة عظيمة ولما مات كلوفس سنة ٥١١ قسمت أملاك الفرنجة بين أولاده الأربعة ولكنهم رغم ذلك وسعوا ملكهم بالتغلب على ثورنجيا وبرغندية وبفاريا

وبدأ الفرنجة في الغرب يتأثرون بمحضارة الرومان تأثراً سريعاً ،

واختلفوا بذلك عن اخوانهم الذين بقوا في الشرق محافظين على نظمهم وعاداتهم الجرمانية ، وساعد على هذا الانفصال بقاء القسمين الشرق والغربي مدة طويلة تحت حكم ملكين متعاضدين ، وسمى الجزء الشرق « استراسيا » Autrasia والغربي « نستريا » Neustria وكان العنصر الجرمانى متفوقا فى استراسيا التى نشأت منها المانيا الحديثة ، بينما التأثير الرومانى كان غالباً فى « نستريا » التى صارت فرنسا فيما بعد

ولما عظم قصر الملك أيام « كلوفس » عين على خدمه ناظراً يشرف عليهم ^{حجاب القصر} ^{او نظار السراى} صار مسئولاً عن ادارة القصر وكانت الوظيفة حقيرة فى أول أمرها الا أن صاحبها صار الواسطة بين الملك والرعية فعظم شأنه تدريجاً حتى أصبح وزيراً مسيطراً على الملك . وقد تمكن بين ٧٨٧ — ٧١٤) من الاستقلال بهذه الوظيفة فى استراسيا واستولى بعد حروب طويلة على نستريا فصار يحكم جميع الفرنجة ووضع بذلك أساس دولة شرلمان الشهيرة وجاء بعده ابنه شارل مارتل (٧١٤ — ٧٤١)

وسع شارل مملكته شرق الرين بانتصاره على السكسون والبقاريين شارل مارتل وعاضد الكنيسة داخل بلاده وخارجها — كما عاضدها كل ملوك الفرنجة من بعده — وشجع المبشرين على نشر المسيحية بين الجرمان شرق الرين ، فحسنت العلاقات بينه وبين البابا . وفى عهده حدثت موقعة « تور سنة ٧٣٢ » التى انتصر فيها شارل على عبد الرحمن الغافقى عامل بنى أمية على الاندلس ، وخلفه ابنه بيپين فى الحكم

وفى هذه الاثناء كان المبارد قد انتزعوا من الدولة الشرقية كل الفرنجة والبابا شمال إيطاليا ، وجاروا على الأراضى التى كان يحكمها البابا بالنيابة عن الدولة

فاحتاج البابا الى حليف يشد أزره على اللمبارد ولم يكن في استطاعته أن يستعين بالامبراطورية لما كان بين رومة وقسطنطينية من العداء الشديد ولهذا استجار البابا بحاجب الفرنجة وكان « بيپين Pippin » يتطلع الى التاج ويخشى العاقبة ، فأرسل وفداً الى البابا يستفتيه فيمن يجب أن يكون ملكاً ، أصاحب اللقب الذي لا قوة له أم صاحب القوة الذي لا لقب له ؟ فأفتى البابا بأن صاحب القوة يجب أن يحوز اللقب أيضاً ، فتشجع « بيپين » بفتوى البابا ، وجمع الاشراف ورجال الدين فوافقوا على عزل الملك القديم ، وحملوا « بيپين » على أعناقهم حسب عاداتهم وولوه ملكاً . وعرفت أسرته بأسم الاسرة « الكارولنجية » نسبة الى ابنه شارل أو شارلمان . وكان ملك الفرنجة لهذا التتويج شأن عظيم في نظريات الملكية لان الملك كان ينتخبه اشراف البلاد ، فلما وافقت الكنيسة على تتويج بيپين ومسحته ملكاً ، أصبح منصب الملك مقدساً لا يستطيع أحد أن يتعرض له دون أن يستهدف لسخط الكنيسة فأصبح مركز الملك مصوناً من كل اعتداء ونشأت نظرية الحق الالهي التي مؤداها أن الملك يستمد قوته من الله تعالى

بيپين في ايطاليا وفي سنة ٧٥٤ تقدم بيپين الى ايطاليا وهزم اللمبارد ، وأجبرهم على رد أكثر ما استولوا عليه من الاقاليم وقدمه منحة للبابا وصار البابا يحكم ما بين راقنا ورومة كامير دنيوى نائب عن الملك وتابع له ، وبهذا تكون ما يعرف في التاريخ باسم « ميراث القديس بطرس »

وقضى بيپين بقية حياته في إصلاح شئون بلاده وتمهيد الطريق لقيام دولة شارلمان

الدولة الرومانية الشرقية

الإمبراطور جستنيان Justinian ٥١٧ — ٥٦٥ م

على الرغم مما أصاب الغرب بسبب غارات البرابرة ظلت الدولة الرومانية الشرقية قائمة محتفظة بقوتها ومدنيتها مدة ألف سنة بعد سقوط رومة . وذلك بفضل مناعة قسطنطينية وخيرات آسيا التي كانت تتدفق إليها ولصغر مساحتها بعد فقد الغرب ، إذ أن ذلك سهل مهمة الدفاع عنها . إلا أن الدولة لم تكن رومانية إلا اسماً فقط والحقيقة أن مدنها ولغتها وجنسياتها أصبحت أفريقية

ومن أعظم الإباطرة الذين أصلحوا حال الدولة «جستنيان» وليس في تاريخ القياصرة أشهر من اسمه . كان جستنيان ذا مقدرة عظيمة له ولع بأشياء كثيرة كالبناء والقانون والدين والتجارة والصناعة والحرب والسياسة والإدارة ، وكان قوى الإرادة يحسن اختيار الرجال . ومن الأسماء الملزمة لاسمه اسم زوجته «ثيودورا» التي تزوج بها وكانت من الممثلات وقد لعبت دوراً هاماً في تاريخ جستنيان ، واسم قائده «بلساريوس» الذي أحرز انتصارات عظيمة بجنود قليلة ورفع شهرة الجيوش الرومانية إلى أعلى مستوى بلغته في ماضيها

فلما أحس الإمبراطور بقوة جيشه ومهارة قائده، التفت إلى الولايات

استرجاع أفريقية

الغربية التي لم يزل يعتبرها جزءاً من مملكته ، وأول ما نزلت ضرباته على أفريقية التي دخلها بلساريوس عام ٥٣٣ ووجد «الوندال» في حالة لا يستطيعون معها المقاومة ففتحها في بحر سنة واحدة

استرجاع إيطاليا وبعد فتح أفريقية توجه بلساريوس الى غنيمية أكبر فعبه ، ومعه ٧٥٠٠ رجل إلى صقلية فاحتلها بدون مشقة عام ٥٣٥ ، ونزل بجنوب إيطاليا في السنة التالية فوجد القوط الشرقيين قد انحطوا كثيراً وإن لم يصلوا الى درجة الوندال . ولذا اكتسح « بلساريوس » كل شيء أمامه فسقطت نابلي ورومة . وبعثاً حاول القوط استرجاع رومة بجيش قدره ١٥٠٠٠٠ مقابل ٥٠٠٠ كان يقودهم بلساريوس

وفي سنة ٥٤٠ سلمت « رافنا » بسبب الجوع وعصيان الجند وعاد بلساريوس منتصراً إلى قسطنطينية فصار جستنيان أكبر قوة حربية ثم أضاف في عصره جنوب شرق اسبانيا سنة ٥٥٠

اضمحلال قوة جستنيان بعد هذا أخذ نجم جستنيان وقائده يأفل حتى لم تحقق نهاية حكمه الآمال التي كانت تنتظر في أوله . إذ حصلت أزمة مالية شديدة ناتجة عن كثرة المباني العظيمة التي شيدها والتي تشهد ببراعة المهندسين في عصره وأهمها كنيسة « القديسة صوفيا »

ظهور الفرس والصقالب وأهم العوائق التي حالت دون نجاح تصميمات جستنيان مقاومة الفرس والصقالبة . فاما الفرس فبلغت منتهى قوتها في عهد كسرى الاول (٥٣١ — ٥٧٩) فلم يستطع الإمبراطور أن يخضع شوكتها ، بل اضطر بعد جهود كبيرة أن يدفع جزية للفرس ويتنازل لهم عن شيء من أملاكه . وأما الصقالبة فأقاموا في البلقان فيما يعرف الآن باسم يوجوسلافيا وبلغاريا واليونان واندمجوا بالسكان بدرجة عظيمة

ضباع إيطاليا فكثرت الشكوى من الجبابة وساد السخط ، استرجاعها

فعرضت الفرصة للقوط الشرقيين ثانياً، واستردوا إيطاليا ماعدا «رافنا»
التي بقيت وحدها في يد جستنيان

الا أن الامبراطورية لم تياس من استرجاع إيطاليا فارسلت عام
٥٥٢ ذلك الرجل المسن « نرسيس Narses » وكان ذا مقدرة حربية
عظيمة، فتقدم الى إيطاليا براً ووصل الى رافنا ثم هزم القوط واعاد إيطاليا
مؤقتاً الى حكم الدولة الرومانية الشرقية

وأهم ما يذكر به عصر «جستنيان» تأليفه لجنة لجمع شتات القانون
الروماني وبهذا ختم وضع المجموعة المعروفة باسمه ، خالية من المتناقضات
ومن الأغلاط، وظهرت أيضاً مجموعة بأهم الأحكام التي أصدرها كبار
المشرعين والقضاة .

واشتهر جستنيان بشدة اضطهاده للوثنية وكانت لا تزال باقية
في بعض جهات شبه جزيرة البلقان وأدى به عداؤه للوثنية إلى غلق
جامعة أثينا التي هي مركز للتعاليم الوثنية . وقد توالى المصائب على الدولة
للسبب التي ذكرناها وبسبب انتشار وباء فتاك قضى على عدد عظيم
من سكان الدولة وعادت الحال الى ما كانت عليه قبل جستنيان

وجاء بعد جستنيان أباطرة ضعاف لم يزيدوا الدولة إلا خبالاً الى
أن اعتلى العرش « هرقل الأول » (٦١٠ — ٦٤١) فحاول أن ينهض
بها، ولكن النوائب ما فتئت تحل بالدولة من جراء المنازعات الدينية
التي شغلت أذهان الناس حتى اضطر « هرقل » أن يقضى أكثر وقته في
محاولة حسمها، وبسبب فداحة الضرائب الناشئة من تبذير الاباطرة

هرقل الاول

و بينما كان أكبر ملوك الأرض إذ ذاك يجردان في توطيد ملكهما
وتنظيم قواتهما ، اذ وصلت الى كل منهما سنة (٦٢٨) رسالة من شخص
غير معروف لهما يدعوها فيها للإيمان بدين جديد . أما الامبراطور فلم
يأبه للدعوة ، وأما كسرى فانه غضب ومزق الرسالة ورمى بها في وجه
حاملها . أما الرسالة فهي رسالة الإسلام لصاحبها محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني

تاريخ العرب

بلاد العرب شبه جزيرة واسعة تمتد من صحراء سوريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً، ومن البحر الأحمر غرباً إلى الخليج الفارسي شرقاً. وتنقسم إلى عدة أجزاء متباينة يختلف بعضها عن البعض الآخر من حيث التربة والمناخ والسكان. وأهمها الحجاز وينحصر بين البحر الأحمر وسلسلة الجبال المحاذية له، وفي الزاوية الجنوبية الغربية توجد اليمن، ويطلق اسم تهامة على سهول اليمن والحجاز، وقد يقصر هذا الاسم أحياناً على جنوب الحجاز، وتقع حضرموت شرقي اليمن على شاطئ المحيط الهندي، وعمان شرقي حضرموت وتوجد الأحساء والبحرين على خليج فارس، وفي وسط بلاد العرب توجد هضبة نجد.

وليس بجزيرة العرب أنهار صالحة للملاحة، إنما يوجد نهيرات وسيول قليلة مبعثرة تخصب التربة حولها، ويندر المطر بهذه البلاد ولذا كانت قاحلة، اللهم إلا حول الأمواه، حيث الخصوبة موفرة كما هو الشأن في وديان اليمن حيث يزرع البن والنيلة والنخيل وأشجار النفاكهة بأنواعها وحيث الجو مائل إلى البرودة شتاء.

أما الحجاز فكثيرة الأنجاد والوهاد، ولا سيما حول مكة حيث تسطع أشعة الشمس المحرقة على صخور وعرة ووديان مقفرة، قليل كائنها ضئيل

حيوانها ، الا أنه الى الشرق من مكة يوجد «الطائف» ببقله واشجاره
الضئيلة من تفاح وتين ورمال وعنب

ولما كان أكثر هذه البلاد صحراء جدباء، يصعب التنقل بين فيافيها ^{أثر طبيعة البلاد}
في أهلها القليلة المدن والمؤن والماء، وكان جوها على العموم قارياً، لم يجرؤ المهاجرون
على التوغل فيها فتمتع أهلها بالحرية والاستقلال أكثر عصورهم ولم تقم
بينهم حكومة مركزية يخضع لها جميع السكان، بل كانت القبيلة هي الوحدة
السياسية والاقتصادية، تدافع عن كرامتها وتقوم بحاجاتها وتخضع لحكومة
أبوية يرئسها إلا كبر سناً أو الأراجيح عقلاً، لا يقطع أمراً دون أن
يتعرف رأى وجوه قومه. وقد أدت قلة خيرات البلاد الى تشاحن القبائل
المختلفة على امتلاك الوديان الحصينة والواحات البانعة، فكانت الحرب
سجالاً وبقي تنازع البقاء بين القبائل قائماً على قدم وساق حتى جاء الإسلام
ويقال ان أول من نزل ببلاد العرب قوم من أصل كلداني أسسوا ^{أصل العرب}
حضارة لا تزال آثارها باقية باليمن ، وقد قضى على هؤلاء قبائل من
الجنس السامي جاءوا مما يلي الفرات شرقاً ونزلوا بحضرموت واليمن
وهم بنو قحطان ومن نسلهم «يعرب» الذي سميت البلاد وأهلها باسمه .
ثم جاء بنو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، فنزلوا في الحجاز وبنوا
الكعبة التي كانت ولا تزال أقدس بقعة عند العرب وسائر المسلمين
وينقسم العرب عامة الى حضر يقيمون في المدن وبدو يسكنون
الخيام ويقيمون في الصحارى والهضاب اتجاءاً للرعى . وكان عرب الطرف
الشمالى الغربى على اتصال بالرومان ، كما أن أهل الطرف الشمالى الشرقى
كانوا متصلين بالفرس . أما اليمن فاستولت عليها الحبشة حوالى سنة ٥٠٠ م .

ثم طردها سيف بن ذى يزن بمساعدة الفرس الذين بقوا يحكمونها الى أن
بادت حضارتها في أوائل القرن السابع

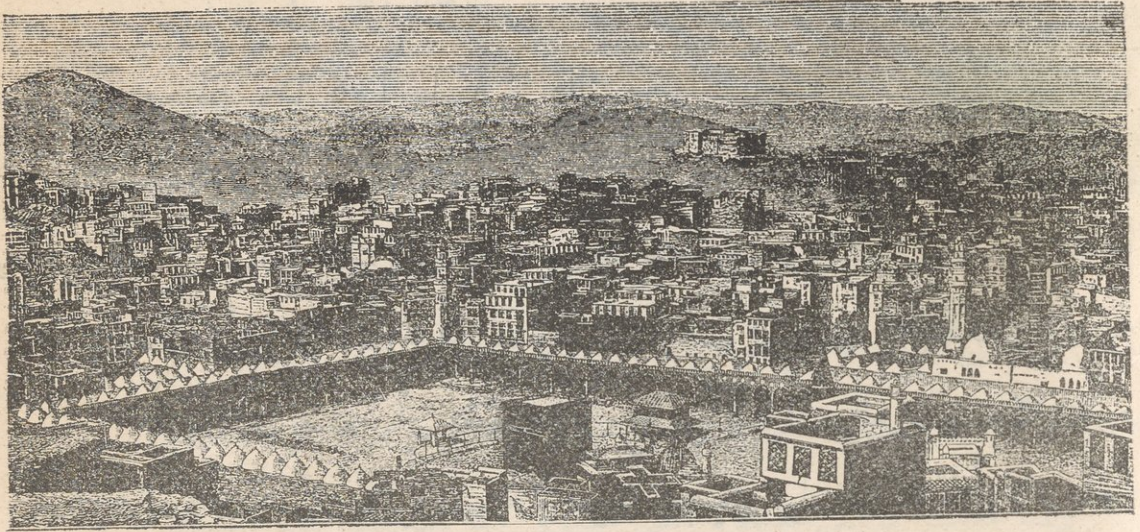
الدين وقد بقي اليهود والمسيحيون الذين دخلوا بلاد العرب على دينهم . أما
العرب أنفسهم فكانوا يعبدون الاوثان والنجوم ، لكل جهة ولكل
قبيلة آلهة ، وكانت الكعبة مركز عبادتهم جميعاً وبها ٣٦٠ صنماً تمثل آلهة
القبائل المختلفة وتقدم لها القرابين حتى من بنى الانسان

اسواق العرب ولما سُم العرب استمرار القتال جعلوا أربعة أشهر حرماً — كما
جعل الاوريون الهدنة الربانية — تبطل أثناءها المنازعات وتحقن الدماء ،
واستعملوا هذه الفرصة لتبادل المتاجر وعقدوا أسواقاً كعكاظ وذى
الجزاز للمباراة في ميدان الفصاحة شعراً ونثراً ولتوزيع الجوائز على
الناغبين ، فتقاربت أفكار العرب ولهجاتهم وأخذت لغة قريش تسود غيرها
حتى نزل القرآن بها وأصبحت اللغة الادبية والرسمية

ظهور قريش واشتهر من بنى اسماعيل قريش في القرن الثالث ، وعلمت منزلتهم بين
العرب ، ثم ظهر من بينهم «قصي» في القرن الخامس ، فساد مكة ثم الحجاز
كله ، وأعاد بناء الكعبة ، وابتنى قصراً أطلق عليه دار الندوة ، تجتمع فيه رؤساء
القبائل أيام الموسم للتشاور في أمور العرب كافة . ونظم «قصي» الحكومة
وجمع الضرائب وأعد الطعام والشراب للحجاج ، وورث أبناؤه عنه
منزلته ووظيفته الى أن وصلت الى هاشم ثم الى ابنه عبد المطلب سنة ٥٢٠ م
ولم يكن لبني هاشم منافسون سوى بنى أمية وهم أحفاد عبد الدار أحد
أخوة «قصي» خسدوا بنى هاشم على رفيع مكانتهم وحاولوا انتزاع حكم

مكة منهم فأخفقوا في مسعاهم ، وبقي عبد المطلب يحكم مكة نحو تسع وخمسين سنة

وفي عهد عبد المطلب أرسلت الحبشة جيشاً الى مكة بقيادة عام الفيل « أبرهة » وكان معه بضع فيلة فوصل مكة عام ٥٧٤ الذي اشتهر بعام الفيل ، فوقع الرعب في قلوب العرب لأنهم لم يألفوا الغزو الاجنبي ولم يكن لهم علم باستعمال الفيلة في الحروب ، فاستجار عبد المطلب بالكعبة



مكة المكرمة

وما لبث أن ارتد « أبرهة » على عقبيه لتفشى المرض في جيشه ولطول مطر وبرد اكتسح الوادي الذي كان يعسكر فيه جيش الحبشة ^(١) ولعظم وقع هذا الحادث في نفوس العرب صاروا يؤرخون به

بِعَمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كان لعبد المطلب أبناء وبنات كثيرون اشتهر منهم أبو طالب والعباس وحمة وأبو لهب وعبد الله . وكان عبد الله أصغر إخوته تزوج

نشأة النبي

(١) سورة الفيل

بآمنة بنت وهب ومات في الخامسة والعشرين، وبعد موته بأيام وضعت
آمنة سنة ٥٧٠ ولداً سماه جده «محمدًا» وسلمه الى حليمة السعدية لترضعه،
فنشأ معها في الصحراء حتى بلغ السادسة حين ماتت أمه، فكفله جده
عبد المطلب، فلما مات سنة ٥٧٩ كفله عمه أبو طالب الذي خلف أباه في
رياسة مكة ولم يكن ثرياً كأسلافه فقام بنوه وابن أخيه برعاية الغنم
فكان النبي يفاخر بذلك ويقول ما من نبي إلا وقد رعى الغنم
ثم سافر سيدنا محمد وهو صبي مع عمه الى الشام فزاد علمه بالناس
وحالهم وما كانوا عليه اذ ذاك من الخطاط في الأُخلاق وانقسام
في الدين

ولما بلغ النبي أشبهه قام بتجارة خديجة وكانت أرملة من أغنياء
مكة وأشرفها، فربح أرباحاً وفيرة وعرفت فيه خديجة الدقة والأمانة
فتزوجت به بعد أن رفضت الزواج من أشرف العرب. وكان عمره
إذ ذاك خمساً وعشرين سنة وعمرها أربعين فولد لهما ثلاثة أولاد ماتوا
أطفالاً وثلاث بنات عشن حتى رأين عظمة أبيهن وتزوجت صغراهن
«فاطمة الزهراء» من علي ابن أبي طالب

قضى محمد بعد زواجه خمسة عشر عاماً في حياة هادئة بمكة عرف
أثناءها بحلاوة شمائله وطهارته وإخلاصه وحبّه للواجب وأمانته حتى
لقب بالأمين. وظهر شأنه حين شرعت قريش في إعادة بناء الكعبة
واختلفت أشراف مكة أيهم يضع الحجر الاسود في مكانه، فحكم بينهم
وأرضاهم بأن وضع الحجر في رداءه وطلب الى رؤساء القبائل جميعاً أن
يرفعوا الرداء

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحب العزلة ويكره الملاهي ولا يشترك مع الجاهلية في أعيادها أو اجتماعاتها وكان أمياً ولا يقول الشعر ، ولكنه تعلم شيئاً من دين إبراهيم عليه السلام عن قريب له اسمه « ورقة بن نوفل فكان » يعتمد إلى غار « حراء » بالقرب من مكة يقيم به شهراً كل سنة متعبداً مفكراً

فبينما هو كذلك مرة إذ نزل عليه الوحي وشعر أن منادياً يقول له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فكررها عليه مرتين ثم قال « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » فارتجف قلب النبي خوفاً ورجع إلى خديجة وأخبرها بما سمع ، فصدقته وأخذته إلى ورقة ابن نوفل فقال « هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى » فقام عليه السلام ينشر الدعوة سراً بين آل وصحبه فآمنت به خديجة ثم آمن على وابو بكر وعمر وحزرة وعثمان

أيذاء قريش
للنبي

ولما عانت قريش بدعوة النبي سخروا منه فلما رأوا قوة تمسكه بدعوته وشدة مراسه شكوه إلى عمه أبي طالب فنصح له . فقال رسول الله « والله يا عمي لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه » فجعلت قريش تؤذيه واشتد الأيذاء بعد موت عمه أبي طالب وزوجه خديجة ، وبعد أن صارت زعامة مكة لابي سفيان بن حرب بن أمية . فتحدثه قريش بأن يأتي بالمعجزات فنزل قوله تعالى « قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً » وجعل الرسول يتلو عليهم القرآن وهو أقوى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغ من غلو قريش في العناد والجحود أن قالوا بلسان

القرآن « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم »

الهجرة
م ٦٢٢

عند ذلك ينس النبي من كفار مكة وأمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، ثم قصد « الطائف » فلم يلب الناس دعوته فعول على نشر ما أمر به في موسم الحج، فأمن به جماعة من أهل يثرب وتعاهدوا على حمايته إذا هو انتقل إلى مدينتهم. فأرسل بعض أصحابه إليها ثم ترك علياً في فراشه وهاجر هو وأبو بكر ليلة دبر الأعداء قتله سنة ٦٢٢ م وهي أول التاريخ الهجري فلما وصل إليها قابله أهلها بالبشر والترحاب (١)

مركز النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة

لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم يثرب سماها المدينة وبني



المدينة المنورة

(١) استقبله أهل المدينة وهم يترنمون بالانشودة المعروفة حسب رواية بعضهم :

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالامر المطاع

مسجداً عمل فيه بنفسه ومحا العداء بين الأوس والخزرج — وهما أشهر قبائل المدينة وكانت الحرب بينهما سجالياً — بتسميتهم جميعاً الانصار ، وآخى بينهم وبين المهاجرين فعاشوا على وفاق بفضل قوة الجامعة الجديدة . وحث على الأخاء والرفق بالأطفال واليتامى والأرامل والأرقاء والحيوانات

الجمهورية
في المدينة

ولم يكن ببلاد العرب في ذلك الوقت قانون أو نظام عام . بل كانت البلاد في نزاع دائم وفوضى شاملة ، فبدأ النبي بوضع نظام ثابت لهذه الجمهورية الصغيرة ونشر عهداً لمنع الترات وإيقاف الشحنة وسأوى يهود المدينة وما حولها بالمسلمين في الحقوق ، وتعهدوا هم بالاشتراك في الدفاع عن المدينة

وقد اغتاضت قريش لفرار محمد وأصحابه وحقدوا على أهل المدينة الغزوات إيواءهم المسلمين وتهددوهم ، فكان لا بد من الاستعداد للدفاع . وبهذه الظروف أصبح رسول الله ، لاداعياً إلى الدين فحسب ، بل رئيساً لحكومة المدينة وقائداً لجيشها . وقد أدى دفاع المسلمين عن أنفسهم إلى سلسلة من الغزوات بها انتشر الاسلام بسرعة لم تعهد في التاريخ ، وقد اشترك النبي صلى الله عليه وسلم في تسع منها

وكانت قريش ترى أن محمداً وأصحابه إنما هم شرذمة من الشواريج قتلهم ولا سيما بعد أن صارت لهم القوة في المدينة وهي على طريق التجارة إلى الشام ، فجدد المسلمون في مهاجمة قوافل مكة ونالوا أول انتصار لهم في السنة الأولى بعد الهجرة في غزوة بدر على بضعة أميال من المدينة وقد أحسن المسلمون معاملة الأسرى

بدر

✓ أحد

انقضت السنة الثانية في هدوء بوجه عام اذا صرفنا النظر عن هجمات قليلة شنها أهل مكة على المدينة . فلما كانت السنة الثالثة جمع أبو سفيان ابن حرب بن أمية - عدو بني هاشم - جيشاً يبلغ ثلاثة آلاف ، هزم بهم المسلمين على سفح جبل أحد ، ولكنه لم يستطع التقدم الى المدينة لكثرة خسارته

✓ غزوة الاحزاب

وبعد أن ضمدت قریش جراحها جمعت حلفاءها وهاجمت المدينة بعشرة آلاف فجمع النبي أعوانه وحفر خندقاً حول جزء من المدينة ، واعتمد في الدفاع عن الجهة الجنوبية على حلفائه من اليهود وهم « بنو قريظة » ولكن هؤلاء انضموا الى الأعداء وضيّقوا الخناق على المسلمين مدة ، حتى ظهر كأن العوامل الطبيعية تحارب مع المحصورين اذ هبت عواصف ممطرة قتلت كثيراً من خيل الكفار وقلّت من مؤنهم ففترق شملهم^(١)

المسلمون واليهود في المدينة

ولما نكث بنو قريظة عهدهم وانحازوا الى الأعداء رأى المسلمون انهم لا يأمنون على أنفسهم ما دامت هذه القبيلة قريبة منهم فطلبوا اليهم الأرتحال فابوا ، فقاتلوهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وكان المسلمون قبل ذلك يعطفون على اليهود ويولون وجوههم شطر أورشليم « بيت المقدس » في صلاتهم ، فأخذ النبي بعد هذا يقلب وجهه في السماء يريد قبلة يرضاهما فأمر أن يولى وجهه شطر المسجد الحرام . وفي هذا ارضاء واستمالة للعرب الذين كانوا يخشون على مركز مكة بعد ظهور الاسلام

وفي السنة السادسة اعطى النبي عهداً للربان خاصة ، وللمسيحيين عامة المقيمين في بلاد العرب ، أن يدفع عنهم الاذى ويحمي كنائسهم

والأ يطرد أسقفاً من أسقفية ولا يكره أحداً منهم على ترك دينه، ولا عهد النبي إلى
النصارى يخرج راهباً من دير، وأن يساعد على إصلاح كنائسهم وأديرتهم. ونزل
قوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك
بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » .

كذلك أرسل النبي رسلاً إلى ملك فارس وامبراطور الدولة رسل النبي إلى
الملوك الرومانية الشرقية وإلى النجاشي بالحبشة وغيرهم، يدعوهم إلى الإسلام
فمزق ملك فارس الخطاب وأحسن امبراطور الروم مقابلة الرسول
وأرسل المقوقس هدية وجارية هي مارية أم ولده ابراهيم

وفي السنة السابعة عقد مع أهل مكة هدنة على إخلاء بلدهم حتى
فتح مكة يتمكن المسلمون من الحج ففعلوا، وحج المسلمون وعادوا إلى المدينة .
إلا أنه بعد ذلك انقض أهل مكة على قبيلة محالفة للمسلمين وقتلوا كثيراً
منها فاستجارت القبيلة بالنبي، فسار إلى مكة في عشرة آلاف ودخلها من
غير مقاومة بسبب انضمام قائدين عظيمين من قريش هما خالد بن الوليد
وعمر بن العاص. فأصبحت تحت رحمته قبل أن تنقضي ثمان سنين على
فراره منها ليلاً، فعفا عن أهلها، ولكنه دخل الكعبة وجعل أصحابه
يحطمون الأصنام وهو يتلو « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان
زهوقاً » وبذلك أسلم أهل مكة وعلى رأسهم أبو سفيان

كان من أثر فتح مكة أن جاءت وفود القبائل أفواجا تطلب عام الوفود
اعتناق الإسلام، فكان النبي يكرم مشواهم ويرسل معهم من يرشدهم
ويعلمهم ويتولى أمرهم. فلما انتشر الإسلام في جزيرة العرب أحس رسول

الله أن مهمته قد انقضت وعزم على أداء الحج كاملاً حتى لا يخطيء فيه أحد ، فدخل مكة في ٨ ذى الحجة سنة ١٠ هـ (٧ مارس سنة ٦٣٢ م) وقبل أداء الفريضة اعتلى جبل عرفات وخطب خطبة الوداع الخالدة ومنها : « أيها الناس ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . ان ربا الجاهلية موضوع ، وان دماء الجاهلية موضوعة ، وان ماثر الجاهلية موضوعة ، غير السدانة والسقاية . ان لنسائكم عليكم حقاً . . . فاتقوا الله في نسائكم واستوصوا بهن خيراً . . . أيها الناس أن ربكم واحد ، وأن أباكم واحد ، كلكم لا يدم وأدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى ألا هل بلغت ؟ فليبلغ الخاضر منكم الغائب » ثم نزل قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » ثم مرض النبي فجعل يوصي أصحابه بالتقوى والمحافظة على الدين حتى ثقل عليه المرض فقابل ربه وسنه ثلاث وستون سنة ، في يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ « ٨ يونيه سنة ٦٣٢ » ولم يترك بعده من أبنائه إلا فاطمة الزهراء

اعمال النبي صلى الله عليه وسلم وأهله

يحسن تقسيم حياته الى ثلاثة أدوار متباينة : الأول دور التعب والذسك حين كان يقيم في الغار منعزلاً عن أهل مكة . لا يشاطروهم لهوهم وسرورهم ، وعرف بينهم بالنزاهة والصدق والأمانة حتى لقبوه جميعاً بالأمين .

والدور الثاني قيامه عليه الصلاة والسلام بنشر رسالته سرا وجهراً ،
وقد لاقى في سبيل ذلك من السخرية والاضطهاد ما لاقاه الانبياء من
قبل ، فتدرع بالجلد والصبر ، ولم يتزعزع إيمانه ولا إيمان أتباعه على قلة
عددهم ، بل ضحوا بكل شيء لإعلاء كلمة الحق وزادوا يقيناً كلما زادتهم
قريش إيذاء

ولما يؤس النبي وأتباعه من النجاح في مكة هاجروا الى المدينة. وبدأ
الدور الثالث من حياة رسول الله واضطر هو وأصحابه أن يقفوا موقف
الدفاع وأن يستعدوا لصد غارات قریش . وزاد عدد المسلمين بعد الهجرة
فكونوا جيشاً يتوقد بخيرة وحماسة ويشرب للجهاد نصراً للرسول
والاسلام ، فصار النبي حاكماً وقائداً وأظهر مهارة عظيمة في إدارة شؤون
الجمهورية الجديدة وقيادة جيوشها ، فكان يخرج بنفسه للقتال ويتعرض
لأخطار الحرب وكان مثالا عالياً لرباطة الجأش والاستبسال ، فتوالت
انتصاراته ودانت له شبه جزيرة العرب بأكملها وبدأ الاسلام ينتشر
فيما وراءها

ولقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أكرم الناس خلقاً ،
متواضعاً حليماً كريماً شهماً غيوراً مقداماً جليلاً بعيد النظر عادلاً متسامحاً
ولقد أجمل القرآن وصفه في قوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم »

أثر ظهور الاسلام في العرب

لقد كان لظهور الاسلام في بلاد العرب أثر عظيم في أخلاقهم
وعاداتهم ، قضى على المنازعات والحروب القومية وأصبح للعرب حكومة

واحدة ورئيس واحد يسهر على مصالحهم ويقيم العدل بينهم وهذا هو أول عهد العرب بحكومة منتظمة في بلادهم . ثم إن الاسلام هذب أخلاق العرب وقضى على العادات الذميمة التي انتشرت بينهم فاعتدلوا في معيشتهم وسلوكهم ، ونظروا في إصلاح أحوالهم وترقية تجارتهم وبالاختصار تهيأ العرب لاستقبال عهد الفتوح والمدنية الاسلامية

الخلافة

X

ولما مات النبي لم يصدق الناس الخبر وتسرب الشك والارتباك الى نفوس العامة ، واستبعدوا أن يقع سيدنا محمد تحت تأثير القوانين الطبيعية مثل غيره من البشر ، وأن يكون هذا الشخص الذي أحدث هذا الانقلاب العظيم في التاريخ بشراً يجوز عليه الموت

ظل الشك والارتباك في أذهان الناس مدة ظهر في أثنائها عمر ابن الخطاب وفي يده السيف يهدد الذين يؤكدون موت النبي قائلاً « إن رجالاً من المنافقين زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ، وإنه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى ، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقطع أيدي رجال زعموا أنه قد مات » فلما جاء أبو بكر وتأكد من موت الرسول خطب في الناس خطبته المعروفة التي يقول فيها « أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا الآية « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » وذكر الآية أيضاً « إنك ميت وإنهم ميتون » فخف الهرج والمرج

من بين الناس وتحققوا خبر موت الرسول ورفعوا أصواتهم بالعويل والنحيب وكان عمر أكثرهم بكاء وتأثراً

خليفة أبي بكر (١١ — ١٣ هـ . ٦٣٢ — ٦٣٤ م)

ثم بحث الناس فيمن يخلف النبي فإنه قد مات ، ولم يعين له خليفة ، بل ترك الأمر شورى بينهم حسب العادة المتبعة عند العرب . فتشعبت الآراء إلى ثلاث شعب : فقال الانصار بجعل الخلافة انتخابية من غير شرط . وقال فريق بجعل الخلافة في آل محمد . وقالت الأكثرية من المهاجرين بمبدأ الانتخاب بشرط أن يكون الخليفة من قريش

وكان النبي قد أشار في حياته إلى كفاءة علي بن أبي طالب في مواقف عدة : إذ كان على أول من أسلم من الصبيان واشترك مع النبي فيما وقع له من الاضطهاد في مكة ، وكان من أكفاء قواده في الغزوات ، وفوق ذلك كان صهر رسول الله وابن عمه ومن أسرة بني هاشم — كل هذا كان من شأنه أن يدعو العرب إلى اختيار سيدنا علي خليفة ولكن أشراف قريش كانوا يحسدون أسرة بني هاشم وينقمون عليها فلم يقع اختيارهم عليه

على أن النبي كان قد عهد إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس أثناء مرضه ، مزاياء أبي بكر ويعد هذا اعترافاً منه بكفاءة أبي بكر للرياسة بعده ، وقد كان أبو بكر أكبر الصحابة سناً وفضلاً ولا يخفى أن العرب كانوا ينظرون إلى كبر السن كعامل مهم في اختيار رؤسائهم . لهذا — ولما عرف به أبو بكر بينهم من شدة غيخته على الاسلام وكثرة تجاربه — بايعه عمر خليفة

المشهورين — وأولهم خالد ابن الوليد الذي قضى على مسيلمة في اليمامة — خضعت شبه جزيرة العرب وعاد الاسلام الى القوة التي كان عليها أيام النبي صلى الله عليه وسلم

فتوح العرب

وكان النبي قبل وفاته قد أعد حملة بقيادة «أسامة بن زيد» لمعاقبة أول اشتباك العرب مع الروم والفرس بني غسان لتجرهم على قتل رسول النبي اليهم. فرأى أبو بكر أنه من مصلحة الاسلام أن يواصل العمل في تجهيز هذه الحملة ليعتقد العرب أن الاسلام قوة يصعب مقاومتها. وعلى ذلك خرجت الحملة نحو «بني غسان» الذين كانوا من قبائل العرب، وكانوا يدينون بالمسيحية ويعترفون للدولة الرومانية الشرقية «بالسيادة» عليهم، فكان ذلك مبدأ احتكاك العرب بدولة الروم. كذلك سيرا أبو بكر حملة نحو القبائل العربية الساكنة شرق نهر الفرات عند «الحيرة». وتعرف هذه القبائل بقبائل «بني تغلب» — وكانوا يدينون بالمسيحية أيضاً ويحكمهم أمراء من العرب يخضعون لسيادة دولة الفرس الساسانية، وبذلك بدأ احتكاك العرب بالفرس

لما تم اخضاع العرب المرتدين في شبه الجزيرة، تهيأ الاسلام للفتوح الخارجية. ووجدت القبائل العربية المتمردة في هذه الحروب مجالا واسعا للغنيمة والظفر والاستشهاد، فسار خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني نحو الحيرة فسقطت في أيدي المسلمين عند ذلك تنبه الفرس وخافوا انتصار هذه الأمة البسيطة الفتية.

وكانت دولة الفرس الساسانية لا تزال قوية يمتد نفوذها في وسط آسيا إلى حدود الصين والهند ، وتبسط سلطاتها على العراق وخراسان وبلاد العجم والأقاليم التي حول بحر قزوين . فالتفت الفرس للعرب وأخذوا يعدون العدة لطردهم من الحيرة ووردهم إلى بلادهم . وفي ذلك الوقت حدث انقلاب في حكومة الفرس ، فاعتلى العرش الملك «يزدجرد» فجمع جيشاً قوياً عين على رأسه القائد الفارسي الشهير «رستم» ، واضطر العرب في مبدأ الأمر إلى التقهقر لقلّة عددهم وباتوا ينتظرون المدد من المدينة . وكان أبو بكر قبل وفاته قد أرسل خالد بن الوليد إلى الشام ، وعلى ذلك أرسل الخليفة عمر قوة تبلغ ثلاثين ألف جندي على رأسها سعد ابن أبي وقاص وتقابل الطرفان في واقعة «القادسية» سنة ٦٣٦ م واستمرت الواقعة ثلاثة أيام حتى في أثنائها وطيس القتال وانتهت بهزيمة الفرس ويقال إنه كان في جيش الفرس بعض الفيلة وهذه أحدثت اضطراباً عظيماً في معسكرهم لما أصابها من سهام العرب

✓ واقعة القادسية
٦٣٦ م

ويعد هذا من الانتصارات الحاسمة فسقطت بلاد العراق وما بين النهرين في يد العرب على أثرها ، وارتد الفرس إلى عاصمتهم «المدائن» فتبعهم سعد إليها وسقطت «المدائن» في يده وبسقوطها سقطت حكومة الفرس وفر الملك يزدجرد شرقاً وأخذ يجرّض قومه على الالتفاف حوله في «جلوان» ، فرأت العرب ضرورة القضاء على يزدجرد وجرّ كته فساروا نحوه ودارت بينهما واقعة «نهاوند» سنة ٦٤٢ م . وفي هذه الواقعة هزم الفرس هزيمة نهائية ولم تبق لهم قوة في البلاد وفرّ يزدجرد إلى حدود الصين حيث قتل ، وفي هذه الحرب غنم المسلمون غنائم عظيمة وكان يوزع

بعض هذه الغنائم على الصحابة وبعضها على الجنود
وعلى أثر ذلك أصبحت فارس وممتلكاتها ضمن دولة الاسلام،
وبنى المسلمون البصرة على خليج العجم وبنوا الكوفة على الشاطئ
الغربي لنهر الفرات وأصبحت الكوفة مقر الحكومة بدل المدينة .



مسجد باصفهان

واعتنق الفرس الاسلام واختلطوا بالعرب وصاهروهم وأصبحوا عنصراً
اسلامياً هاماً ويعرفون عند قبائل العرب بالموالي . وأسس العرب في

بلاد الفرس حكومة قوية مصلحة صانت الفلاحين من اضطهاد
الاشراف وتركهم لهم الاراضى يزرعونها ، واهتمت بعمل احصاء عام
لكل محصولات البلاد

وأظهر العرب مع الشعوب التى خضعت لهم تسامحاً وفرضوا على
من لم يقبل الاسلام منهم جزية تشبه البدل العسكرى فى بلادنا فى الوقت
الحاضر، وفيما عدا ذلك لم يتدخلوا فى الشؤون الدينية

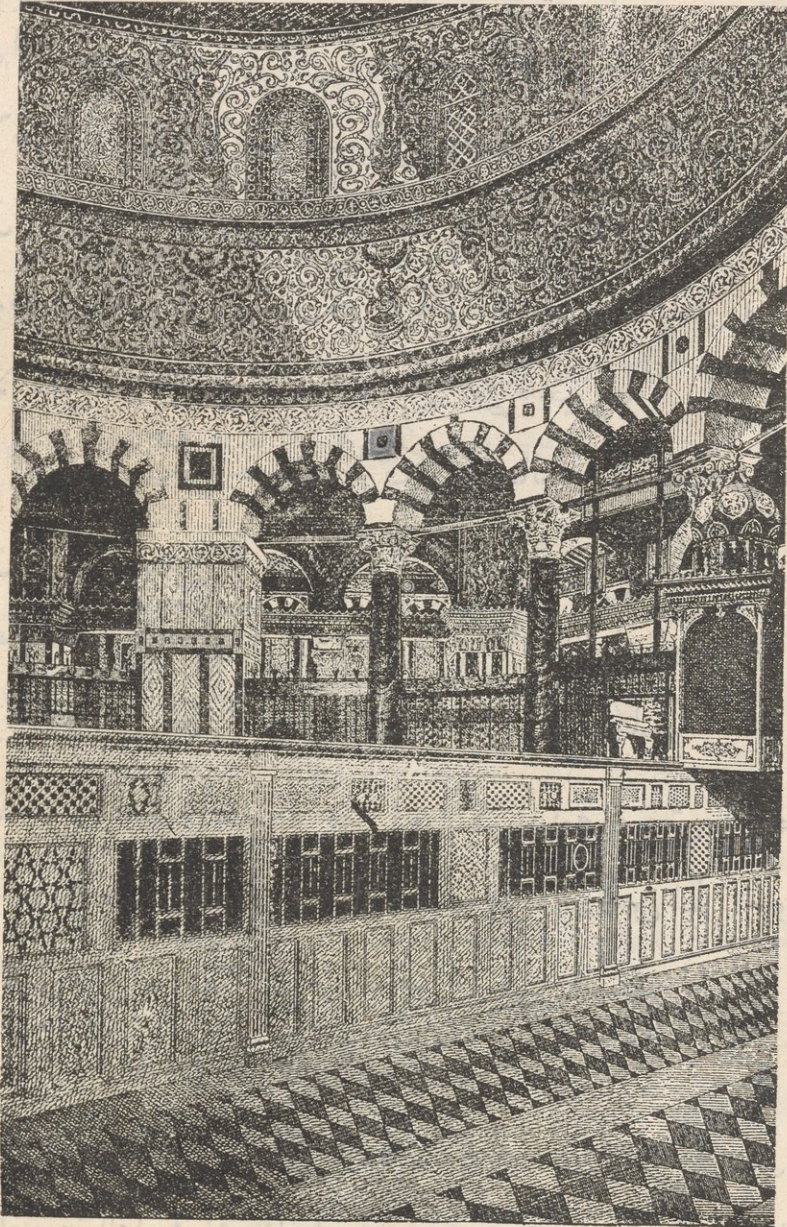
✓
مؤلف: عمر (١٣ - ٢٣ هـ - ٦٣٤ - ٦٤٤ م)

وقبل ان نتكلم على حرب العرب مع الروم يجب أن نذكر أن
أبا بكر مات سنة ٦٣٤ م بعد أن تمكن بحسن تديره وبفضل مجهودات
خالد بن الوليد وغيره من قواد المسلمين أن يصون البلاد من خطر الردة ،
وان يحتفظ بوحدة العرب ووحدة الاسلام وهذا أعظم نحر لأبي بكر .
وقبل أن يموت وصى بانتخاب عمر خليفة له لانه رأى المسلمين فى حرب
مع الدول الاجنبية إذ كانوا يحاربون الروم من جهة والفرس من جهة
أخرى ، فلو حدث أى انقسام داخلى بين العرب لساءت العاقبة . ولذلك
انتخب عمر بدون معارضة وواصل الخطة التى سار عليها أبو بكر من قبل .
وكان عمر من أقوى الصحابة شخصية وأعلام همة وأشدهم غيرة على
الحق والانصاف

حرب العرب مع الروم

كانت البلاد الواقعة غربى نهر الفرات (فلسطين وسوريا) خاضعة
للدولة الرومانية الشرقية ، وكان بعض سكان هذه الاقاليم من عنصر

فوقف المسلمون أمام العدو واستمروا على هذه الحال حتى أرسل أبو بكر
خالد بن الوليد من العراق لينضم إلى جيش أبي عبيدة، فأصبحت قوة
العرب أربعين ألفاً . وبقدوم خالد دارت المعركة وكانت القاضية على



داخل مسجد عمر بالقدس

الروم، ويرجع الفضل في هذا الانتصار إلى مهارة خالد . وهذه أيضاً من

الوقائع الحاسمة التي كسبها العرب فلم يجدوا بعدها صعوبة في فتح المدن
الباقية كدمشق وانطاكية . وبينما كان أبو عبيدة الذي عينه عمر قائداً
عاماً — بدل خالد الذي قبل عن طيب خاطر أن يخدم تحت أمره
أبي عبيدة — يفتح الشام ، كان عمرو بن العاص يفتح فلسطين ، فانتصر
على الروم في واقعة «أجنادين» وكان انتصاراً حاسماً كواقعة اليرموك وعلى واقعة اجنادين
أثره فتحت غزة ويافا والرملة وصور ، ولم يبق إلا بيت المقدس فقاوم
البطريق مدة أربعة أشهر وأخيراً اشترط أن يحضر عمر بنفسه لتسلم
القدس ، فجاء عمر بكل بساطة واستلم المكان بعد الاتفاق مع البطريق .
وعلى أثر هذه الانتصارات غادر هرقل الشام وأصبحت جبال «طوروس»
الحد الفاصل بين ممتلكات الدولة البيزنطية وأملاك العرب

فتح مصر

بعد أن تم لعمرو بن العاص فتح فلسطين فكر في فتح مصر . فلما
خاطب أمير المؤمنين في ذلك تردد عمر ، لأن العرب لم يستقروا في
فتوحاتهم الجديدة ، ولقلة الجنود التي يمكن الاستغناء عنها وتسييرها
لفتح جديد . وأخيراً وافق عمر لالحاح عمرو الشديد ولكن دليل
تردده ظاهر من حادثة الكتاب ، إذ وعد عمرو بأنه سيرسل له كتاباً إن
ادركه وهو في حدود الشام رجع عن فتح مصر ، وإن ادركه وهو
داخل حدود مصر استمر في عمله

وصل عمرو الحدود المصرية ومعه أربعة آلاف جندي ، وبلغ مدينة
«الفرما» المعروفة باللاتينية باسم «بلوزيم» فسقطت في يده بعد شهر

٦٤٠ واستولى العرب على مدينة مصر حيث يوجد حصن بابليون. ولولا فيضان النيل الذي غمر الارض لتمكن عمرو من الاستيلاء على جميع أرض الدلتا، ولهذا اكتفى بحصار حصن بابليون من الجهة الشرقية

وضاق الخناق على الرومان عند انتهاء الفيضان حتى يئس المقوقس من صد العرب، وعاهد في جزيرة الروضة أمام الحصن - بغير علم الحامية - وأرسل بالمعاهدة الى هرقل فجزع جزعاً شديداً واستدعى المقوقس الى القسطنطينية، فجد العرب في حصار الحصن حتى سلمت الحامية بعد نحو ثمانية أشهر وكان ذلك في ابريل سنة ٦٤١ م. ويرجع ذلك الى موت هرقل، وما أحدثه من الاثر في نفوس حامية الحصن، كما يرجع الى ما أبداه الزبير بن العوام من البسالة والجرأة

ولما أحرز العرب هذا الانتصار الباهر انضم اليهم الاقباط ^{مساعدة الاقباط للعرب} جهرة وأخذوا ينتقمون من الرومان الذين كانوا يضطهدونهم أشد الاضطهاد لمخالفتهم في المذهب الديني، اذ كان الروم من الملكانيين والاقباط من اليعقوبيين، وقد بلغ من اضطهاد الملكانيين لليعقوبيين أنهم صادروا حرية عبادتهم، وشتتوا شمل قساوستهم، وأجأوا بطريقهم الى الاعتصام بالصحرى عدة سنين. فجعل الاقباط يساعدون العرب في بناء الاستحكامات والقناطر ويسهلون عليهم الزحف من مكان الى آخر

وقد أسرع عمرو بعد استلام الحصن الى أخذ الفيوم، ثم ترك حامية صغيرة في بابليون وسار الى الاسكندرية محاذياً فرع رشيد وتغلب على من قابله من الرومان عند دمنهور وأجأهم الى الاحتماء بالاسكندرية.

وعسكر العرب حولها ولم يكن في مقدورهم حصرها براً وبحراً، ولذا استمر الحصار عدة أشهر ثم سلمت في ديسمبر سنة ٦٤١ بسبب ما لحق حكومة القسطنطينية من الضعف والوهن على أثر موت هرقل، وبسبب سآمة أهل الاسكندرية تقلبات الحكم البوزنطى وما يتبعه من اضطهاد ديني، ولأن المقوقس أقنعهم بأن التسليم للعرب خير لهم، وربما كان غرضه أن يستقل بيطريقية الاسكندرية عن القسطنطينية، وأهم شروط معاهدة التسليم أن يعطى الرومان مهلة أحد عشر شهراً يجلون فيها عن الاسكندرية، وأن يترك المسلمون لأهل البلاد الحرية الدينية

سقوط
الاسكندرية

مصر بعد الفتح

لما استقر أمر العرب في مصر حدثت التغييرات الآتية : —
١ أنهم نقلوا العاصمة من الاسكندرية لبعدها عن الخلافة في البلاد العربية، وبنوا عاصمة لهم في النقطة التي عسكروا بها حول حصن بابليون، وعرف هذا الموضع باسم « القسطاط » وهو مقابل منف، وإنما فضلوا هذا الموضع ليسهل الاتصال مباشرة ببلاد العرب. ورغبة في سرعة الاتصال ببلاد العرب اهتم عمرو بن العاص بإعادة حفر القناة القديمة التي كانت توصل النيل بالبحر الأحمر، فسارت السفن من مصر الى الحجاز حاملة حاصلات مصر

أثر الفتح
الاسلامى
العاصمة

٢ انضم كثير من سكان مصر الى العرب واعتنقوا الاسلام وأصبحت مصر من ذلك الوقت مركزاً هاماً في العالم الاسلامى، وقل عدد الأسر المسيحية

اسلام بعض
أهل مصر

٣ اهتم العرب بالشئون الزراعية فأعادوا حفر الترع وعنوا بالرى الزراعة وأصلحوا الطرق ، فتحسنت حال الفلاح وتدرج فى الرخاء والرقى

٤ بقيت الحكومة المدنية دون تغيير يذكر وبقي كثير من الموظفين الحكومة الرومانيين فى مراكزهم الأولى وكل وظيفة خلت حل فيها مصرى ، واكتفى العرب بالاشراف على الحكومة

أما الضرائب التى نصت عليها المعاهدة فكانت أخف حملا من أمثالها فى عهد الرومان وكانت الضرائب هى الفرضة وضرائب الاراضى والاخيرة تختلف حسب الفيضان وحال الزراعة كل سنة . هذا الى أنه أيام الرومان كان أناس كثيرون ومدن مثل الاسكندرية تعفى من الضرائب ، بينما العرب كانوا يأخذون الضرائب من الجميع على السواء ومن الخطأ الشائع ان عمرا أحرق مكتبة الاسكندرية بأمر من مكتبة الاسكندرية امير المؤمنين عمر بن الخطاب

والحقيقة ان المكتبة التى بدأت فى عهد « بطليموس فيلادلف » حرقت سنة ٤٨ . ق م على أثر حرق قيصر أسطوله . فيقول المؤرخ الرومانى « بلوتارك Plutarch » « بينما كان الاعداء يستولون على أسطوله ، اضطر ان يردهم بالنار واندلع لهيبها من الحياض وأتلف المكتبة » ويكرر ذلك كتاب كثيرون . فينتج من ذلك أن مكتبة الاسكندرية الكبرى حرقت سنة ٤٨ ق م

وبعد هذه الحادثة بثمان سنين تجددت بالاسكندرية مكتبة ، الا انه فى أواخر القرن الرابع جعل المسيحيون يخربون المعاهد الوثنية ومنها

ورعاً لين الجانب ، لم يكن له حزم أبي بكر وعمر ، ترك شئون الحكومة في يد أهله ولا سيما مروان بن الحكم كاتم سره

ولما آانس العرب ضعف عثمان تجددت بينهم الانقسامات . وثارت ضعف عثمان القبائل تريد استرجاع حريتها الاولى ، بعد أن كبحت جماهم شخصية النبي وهيبته وحزم أبي بكر وشدة عمر . وزاد الطين بلة أن عثمان جعل يعزل الولاة الذين عينهم عمر ويحل محلهم رجالاً أقل منهم كفاءة من أهل قرابته ، فعزل عمرو بن العاص عن مصر وأقام بدله عبد الله بن أبي السرح

وقد احتمل الناس على مفضض السنين الست الاولى من خلافته ، استمرار الفتح شرقاً وما ذلك الا لتخوفهم من الانقسام فيما بينهم وهم معرضون لفتك الاعداء بهم ، إذ كان الاتراك يهددون الحدود الشرقية ويغيرون على ما فتحه المسلمون ، فاضطر هؤلاء لصد هذه الغارات وامتدت الفتوح شرقاً الى بلخ وكابل وهراة . وكذلك قامت ثورة في جنوب فارس الزمت العرب أن يفتحوا كرمان وسجستان

أما في الشمال فقد أغارت الدولة الشرقية على سوريا فردم عنها انشاء اسطول معاوية سنة ٦٤٦ ، وغزا الاناضول حتى قرب من شواطئ البحر الاسود . وفي السنة نفسها هجم الاسطول الروماني على الاسكندرية واستولى عليها ولكن العرب استرجعوها ، فرأى معاوية ضرورة انشاء أسطول ووافقه الخليفة على ذلك فانشأ أسطولاً ، وصار للعرب السيادة في بحر المشرق

النهضة الادبية وبينما كانت جيوش الاسلام تتقدم شرقاً وغرباً اهتم العرب بالشئون التجارية والعلمية فصححوا نسخ القرآن وعنوا بالقوانين الشرعية واللغة والفلسفة والمنطق . وكان أئمة هذه النهضة على بن ابي طالب وعبد الله ابن عباس الذين قاما بالقاء محاضرات اسبوعية في هذه الموضوعات بجامع المدينة

ثم بدأت الاقاليم تشكو من جور الحكام الذين عينهم عثمان، وذهبت الى المدينة وفود مصر والعراق وغيرها وشكوا الى الصحابة سوء تصرف حكامهم . فقام على وغيره من كبار الصحابة بنصح الخليفة وانذاره سوء المتقلب اذا هولم ينظر في الامر ، فعين محمد بن ابي بكر عاملاً على مصر . وبينما هو في الطريق اذ وقع في يده كتاب بختم عثمان يأمر عامل مصر بالقبض على زعماء الوفد وقتل محمد بن ابي بكر ، فعاد الوفد الى المدينة وأنكر الخليفة الكتاب وقرّ عزم الوفود على مهاجمته، وأرسل الصحابة ابناءهم وفيهم الحسن والحسين للدفاع عن عثمان . ولكن رجالاً من الوفود تسلقوا الجدران وقتلوه من غير أن يشعر المدافعون عنه في ١٨ ذى الحجة سنة ٣٥ (١٧ يونيه سنة ٦٥٦) . وقد أخذ على عثمان رضى الله عنه أنه أعطى خمس ريع أفريقية لمروان ، واتخذ أكثر الولاة من قرابته ، وترك شورى المهاجرين والانصار

خلافة سيدنا على (٣٥ — ٤٠ هـ — ٦٥٦ — ٦٦١ م)

بعد مقتل عثمان انتخب على بالاجماع وبويع في المدينة لمكانته ولما له من حق الوراثة عن النبي ، فبدأ بعزل الحكام الذين علت منهم

وكان الواثق مغرمًا بالعلوم والآداب والموسيقى مشجعًا للزراعة والصناعة. وبموته انقضى عهد عظمة العباسيين اذ لم يخلفه إلا رجال يرتقون الخلافة ولا قوة لهم، ويموتون غير مأسوف عليهم، يوليهم الفرس أو الأتراك ذو النفوذ في الجيش ويعزلونهم أو يقتلونهم متى أرادوا. ولقلة أهميتهم في التاريخ، أهملنا ذكرهم

نهاية عظمة
العباسيين

وقد استمر اسم الخلافة العباسية ببغداد الى سنة ١٢٥٨م (٦٥٦هـ) حين أغار عليها «هولاكو» التتاري وقتل المستعصم آخر خليفة عباسي فانقضت بذلك الدولة العباسية

✕

